مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
Harmoon Center
For Contemporary Studies

الأدب الكردي المكتوب باللغة العربية والهوية الثقافية

الكاتب: فدوى حسين

صالون هنانو

25 شباط/فبراير 2019

مركـز حرمـون
للدراسـات المعاصـرة

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسسة بحثية وثقافية وإعلامية مستقلة، لا تستهدف الربح، تعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصا الواقع السوري، وتهتم بالتنمية الثقافية والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان، إلى جانب تقديم الاستشارات والتدريب في الميادين السياسية والإعلامية للجهات التي تحتاج إليها في المجتمع السوري انطلاقا من الهوية الوطنية السورية.

يعمل مركز حرمون للدراسات المعاصرة لتحقيق أهدافه من خلال مجموعة من الوحدات التخصصية (وحدة دراسة السياسات، وحدة البحوث الاجتماعية، وحدة مراجعات الكتب، وحدة الترجمة والتعريب، وحدة المقاربات القانونية) وعدد من برامج العمل (برنامج الاستشارات والمبادرات السياسية، برنامج الخدمات والحملات الإعلامية وصناعة الرأي العام، برنامج دعم الحوار والتنمية الثقافية والمدنية، برنامج مستقبل سورية)، ويمكن للمركز أن يضيف برامج جديدة بحسب حاجة المنطقة والواقع السوري، ويعتمد المركز آليات متعددة في إنجاز برامجه، كالمحاضرات وورشات العمل والندوات والمؤتمرات والدورات التدريبية والنشر الورقي والإلكتروني.

الدوحة، قطر
+974 44 885 996
إسطنبول، تركيا
+90 212 524 0404
harmoon.org

المحتويات

مقدمة 2

أولًا: في اللغة والهوية الثقافية 2

ثانيًا: هوية النتاج الأدبي الكردي المكتوب باللغة العربية 4

ثالثًا: أسباب لجوء الكاتب الكردي إلى الكتابة باللغة العربية 5

1- الأسباب التاريخية/ الدينية 5

2- الأسباب السياسية 5

3- جمالية اللغة العربية وغناها 7

4- أسباب اجتماعية وذاتية 7

رابعًا: النتاجات الأدبية الكردية باللغة العربية 8

1- الشعر 8

2- القصة 10

3- الرو اية 13

خامسًا: النتاج النسائي السوري الكردي 15

سادسًا: التأثير المتبادل بين الكاتب الكردي والثقافة العربية 17

المصادر والمراجع 19

مقدمة

نتناول في هذه الدراسة نماذج من النتاج الأدبي للأدباء السوريين الأكراد باللغة العربية، والهوية الثقافية لهذا النتاج، من خلال استعراض موجز لبعض النظريات التي تتناول ما سمي بصراع الثقافات أو حربها ومحاولات فرض بعض الثقافات على حساب بعض آخر، وعرض العلاقة الوطيدة بين اللغة والهوية الثقافية، ومحاولة الأديب الكردي إثبات هويته الكردية في ما يكتب، حتى لو كانت كتاباته بغير لغته الأم. ونبين الأسباب التي دفعت المبدعين الكرد إلى الكتابة باللغة العربية.

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى تفحص الهوية الثقافية الكردية لهذه النتاجات الأدبية، من خلال الوقوف على عناصرها المكونة لها ومضامينها ونحاول الوقوف على الفنون الأدبية (شعر، قصة، رواية) والتعريف بها، والوقوف على رموزها ودلالاتها وتعبيرها عن الثقافة الكردية، وأخيرًا نعرض صورًا عن التأثير المتبادل بين هذه النتاجات والثقافة العربية.

أولًا: في اللغة والهوية الثقافية

تعّرف اللغة بأنها مجموعة متناسقة من الرّموز والإشارات، وهي أداة المعرفة الأولى والرئيسة كونها تمثّل الحاضنة المنطوقة، أو المكتوبة للأفكار الإنسانيّة المختلفة، فلا يُتصور تناقل الأفكار بين الناس من دون هذه الوسيلة، حتّى عندما يُحدِّث الإنسان نفسه، فهو يُحدِّثها بلغته التي يجيدها.

فقد عرفها (سابير) بأنها "طريقة إنسانية بحتة غير غريزية لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات بوساطة الرموز المنتجة إنتاجًا إراديًا". أما اللغويان (بلوخ وتراجر) فيعرفانها "على أنها نظام اجتماعي من الرموز المنطوقة الاعتباطية تتعاون به مجموعة اجتماعية"، ويرى (هاله) بأن اللغة هي "نمط اجتماعي منظم يتواصل به البشر ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بوساطة الرموز الاعتباطية المسموعة المنطوقة المعتاد استخدامها"[1].

في حين تُعرّف الثقافة بأنها مجموعة سلوكاتٍ، وأفكارٍ، ومبادئ، وقيمٍ، يتبناها الإنسان في حياته، إذ تكون قادرة على رسم الطريق أمامه، وهي كما يعرفها (رالف ولتون) بأنها "طريقة حياة أفراده وهي مجموعة الأفكار والعادات التي تعلموها وساهموا فيها ثم نقلوها الى جيل آخر"[2].

وتعد الهوية الثقافية صورة مثالية، تكونها جماعة بشرية معينة عن نفسها، مقارنة بجماعات أخرى، وهذه الصورة هي السبيل إلى تعريف الذات، من خلال تأكيد ما يميزها عن ذوات أخرى. فالشعور بالانتماء إلى هوية ثقافية معينة هو حاجة نفسية واجتماعية ضرورية لا غنى عنها بالنسبة إلى أي إنسان يعيش في هذا العالم.

---

[1] جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، مصطفى التوني (مترجم)، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1987)، ص 6-7.
[2] هارلمبس وهولبورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، حاتم محس (مترجم)، (دمشق: دار كيوان، 2010)، ص8.

تتشكل الهويات عبر الثقافات الرئيسة والثقافات الفرعية التي ينتمي إليها الأفراد أو يشاركون فيها، عدد من نظريات الهوية يرى أن العلاقة بين الثقافة والهوية تأخذ أشكالًا مختلفة، يرى (ستيفن فروش) أن الثقافة إفراز من الثقافات. لكنها لا تتكون بتلك البساطة "النظرية الحديثة لعلم النفس وعلم الاجتماع تؤكد أن هوية الفرد هي في الحقيقية متعددة وربما سائلة حيث تتكون عبر التجربة وتترسخ برموز لغوية. والأفراد حين يطورون هوياتهم إنما ينجذبون إلى المعطيات الثقافية الموجودة في الشبكة الاجتماعية المباشرة لهم، وتلك الموجودة في المجتمع ككل، وعملية بناء الهوية معًا، لذلك ستؤثر عليها بشكل كبير جميع التباينات والامزجة السائدة في البيئة الثقافية والاجتماعية المحيطة"[3].

لقد بات الاهتمام بالهوية الثقافية متعاظمًا ومرتبطًا بمشاعر الارتباط العاطفي بالذاكرة الجماعية والتاريخ المشترك. ومع سعي كل جماعة إثنية لإثبات هويتها الثقافية، والانتماء إليها ظهرت محاولات كثيرة لما سمي "هيمنة الثقافات" فظهر نوع من صراع وحرب الثقافات، تناولتها نظريات وطروحات متكئة إلى رؤى ونظريات سياسية في أغلبها، كما في حالة كل من (برنار لويس، فرانسيس فوكوياما وصموئيل هنتنغتون)، إذ تتقاطع تلك الخطابات مع ما يدعى (حرب الثقافات) التي يصعب تلافيها[4].

بالمقابل، ترى زمرة من علماء الأنثروبولوجيا أن تعدد الثقافات البشرية واختلافها وتنوعها يعكس اختلافًا طبيعيًا وواقعيًا بين الشعوب المنتمين إليها تمايزًا مطلقًا يميز ثقافة المتحضرين من ثقافة البدائيين والمتوحشين، وقد ساهمت الأفكار المترتبة على هذا الموقف في تحويل قضية التنوع والاختلاف بين الثقافات البشرية إلى تسويغ الاستعمار والهيمنة وازدراء الشعوب والثقافات المغايرة وتهميشها[5].

لا يتوقف الأمر على التجاذبات بين الثقافات الكبرى في موضوع الهيمنة، بل إنه ينسحب على الثقافات الفرعية داخل كل ثقافة كبرى بصورة منفردة.

فليس الأمر متوقفًا على محاولة فرض "هيمنة" ثقافة على أخرى، إذ إن هناك تهميش وإقصاء لكثير من الثقافات الفرعية على أسس إثنية أو قومية أو غيرها، وهو عادة ما يرتكز إلى صراعات سياسية داخلية في ثقافة ما بعينها. فقد عانى الأكراد في عدد من الدول (سورية وإيران وغيرها) وكذلك الأمازيغ في المغرب العربي، أو المسلمين في الصين وغيرها من الحالات التي تنطوي تحت بند (الإقصاء الثقافي واللغوي).

في هذا الإطار، على سبيل المثال، يطرح (لويس كافيلي) ما أطلق عليه (حرب اللغات) بمعنى الصراع الذي يفضي إلى سيطرة لغات وإزاحة أخرى وخصوصًا حين ترتبط اللغة بالعرق، ما يجعلها مهددة بالانقراض نتيجة عدم الاستعمال والتداول، أو بوصفها لغة العلم والإبداع، بما يسمح لها أن تكون حافظة للتراث وناقلة للمعارف والأفكار[6].

---

[3] المرجع السابق، ص15.

[4] انظر: عبد الرزاق الدواي، نظريات في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات دور الهوية الوطنية زمن العولمة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص 87

[5] المرجع السابق، ص 107.-108

[6] لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسة اللغوية، حسن محزة (مترجم)، (بيروت: مطبوعات المنظمة العربية للترجمة، 2004)، ص 204-205.

ويؤكد (هارلد هيرمان) ذلك حين يرى أن اللغة "لا تشكل بحد ذاتها مصدرًا للنزاع إلا عندما يحولها الناس إلى وسيلة لرفض التعاون المتبادل"[7].

وبما أن اللغة هي حامل ومعبر عن ثقافة بعينها، فكيف تكون هوية النتاج الثقافي (الأدبي) عند الأديب السوري الكردي الذي يكتب باللغة العربية، بعد عقود طويلة من الحرمان من تعلم لغته الأم ووضعها في سياق الديمقراطية اللغوية والثقافية بوصفها مكونًا من مكونات الثقافة السورية؟

ثانيًا: هوية النتاج الأدبي الكردي المكتوب باللغة العربية

سعى الأديب السوري الكردي للمحافظة على هويته الثقافية وعدم طمسها في ظل الإقصاء الممارس بحقها، وكان السبيل له في ذلك نتاجه الأدبي المكتوب باللغة العربية.

وقد تضاربت الآراء حول انتماء هذا النتاج الأدبي وهويته. فهناك من عدّ هذا الأدب عربيًا لأنه مكتوب باللغة العربية ولا يكفي أن يكون كاتبه كردي القومية حتى يعد هذا الأدب كرديًا، فلا بد لعدّه كرديًا أن يكون مكتوبًا باللغة الكردية حاملًا عصارة ثقافته الكردية ينهل من منبعه ويروي قصصه وأشعاره من روح لغته الكردية، ويذهب بعض إلى أبعد من ذلك ويعدّون أن من يكتب باللغة العربية فهو يساهم -بصورة أو بأخرى- في طمس اللغة الكردية وإقصائها وهي مساهمه منه في اندثار هذه اللغة على مر الزمان.

بينما يذهب قسم آخر إلى أن هذا المنتج الأدبي ينتمي إلى الثقافة والهوية الكردية، فحتى لو كان الوعاء اللغوي عربيًا إلا أن هذا الأدب يحمل بين ثناياه الثقافة الكردية (التاريخ والفولوكلور والمعتقدات). ويستشهدون على ذلك بأن العناصر المكونة له كردية، فالأمكنة كردية بأسمائها وجغرافيتها وهي المسرح التي تتحرك عليه الحوادث وتنتمي بدورها إلى التاريخ الكردي والشخوص ذات الأسماء الكردية بدلالات ورموز كردية، تسرد قصصًا وحكايات وأساطير وملاحم كردية من التراث الكردي ومن الواقع الكردي الراهن. ولا يعدّون أن الكتابة بالعربية فيها انتقاص من قيمة ما يكتبون بل هي منبر يعبرون من خلاله عن قضيتهم والتعريف بها أمام شركائهم سواء في الوطن أم المحيط العربي وحتى عالميًا، فكثير من أدباء المغرب العربي يكتبون باللغة الفرنسية، وأدباء دول أفريقيا الجنوبية يكتبون باللغة الإنكليزية والفرنسية.

[7] عبد الكريم زيباري، سؤال الهوية الكردية، (بيروت: دار الفارابي، 2012)، ص42.

ثالثًا: أسباب لجوء الكاتب الكردي إلى الكتابة باللغة العربية

يعزى قيام الأديب الكردي بالكتابة باللغة العربية إلى أسباب عدة على اختلاف تأثيراتها، منها:

1- الأسباب التاريخية/ الدينية

يمكن عدّ هذا السبب ذا خلفية تاريخية أكثر، إذ يعد الكرد من أوائل من دخل في الدين الإسلامي، فكان له الأثر الكبير في ثقافتهم وعلمهم الذي نهل من تعاليم القرآن الكريم المنزّل باللغة العربية، وكذلك الأحاديث النبوية، وتأثره الكبير بالثقافة الإسلامية العربية.

وكثير من الكتاب الكرد ينحدرون من أسر وعائلات دينية، رب العائلة فيها إما إمام أو خطيب أو معلم للفقه واللغة. فكانوا مصدرًا للعلم والتعليم، فتشرب أبناؤهم هذه الثقافة وأبحروا بها في مجال الإبداع الأدبي.

احتكر رجال الدين العلم والمعرفة وباتوا المصدر والمرجع الأساس في الأمور الدينية والدنيوية كافة، ولا غرابة أن يكون معظم الشعراء والأدباء الكرد حتى بدايات القرن العشرين من خريجي الحجرات والمدارس الشرعية التي كانت مناهل العلم الوحيدة في مناطق وجود الكرد، وتدل أسماء الشعراء وصفاتهم على ذلك: (فقهي طيران، ملايي جزيري، شيخ أحمدي خاني، ملاباته يي، شيخ رضا طالباني، ملا خضر نامي، ملا شيخموس هساري الملقب بجكرخون) فكان ذلك من مسببات لجوء الكاتب الكردي إلى الكتابة باللغة العربية[8].

2- الأسباب السياسية

إضافة إلى انتشار الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع الكردي، كانت هناك ضغوط سياسية دفعت الكاتب الكردي إلى الجوء إلى الكتابة باللغة العربية بدلًا من لغته الكردية الأم، فتعاقب الأنظمة السياسية الحاكمة في سورية التي لم تتعامل مع السوري الكردي على أن له خصوصيته من حيث اللغة والثقافة، وقد بدأت أولى المحاولات من عهد الانتداب وبعد مرحلة الاستقلال وصولًا إلى عهد البعث.

ففي مرحلة الانتداب الفرنسي، وبعد رسم حدود الدولة السورية الحالية، وفقًا لاتفاقية أنقرة (2 تشرين الأول/ أكتوبر 1921) التي عرفت باتفاقية (فرانكلين بويلون) ووضعها تحت حكم الانتداب الفرنسي بموجب اتفاقية (سايكس بيكو)؛ شملت دولة سورية الحديثة مناطق يقطنها الكرد، كذلك أصبحت ملاذًا للكرد الفارين من السياسات التركية آنذاك، حيث انضم المثقفون منهم إلى أقرانهم في سورية وأسسوا معًا

[8] جان دوست، "اللاهوت الكردي بين أسلمة الكرد وتكريد الإسلام"، **موقع مدارات كرد**. https://www.medaratkurd.com/2013/10/اللاهوت-الكردي-بين-أسلمة-الكرد-و-تكريد/

جمعية خويبون (جلادت وحامد بدرخان، ممدوح سليم، الدكتور أحمد نافذ، قدري جميل باشا، أكرم جميل حاجو آغا، عثمان صبري، وآخرون) وكانوا عرضة للملاحقة والاعتقال.

وفي الوقت نفسه الذي كانت سلطات الانتداب تبدي فيه تساهلًا مع هذه النخبة ونشاطها في الأرياف، كانت تقمع الفلاحين عند إظهار مشاعرهم القومية.[9]

وقد اتخذت حكومة الانتداب من الورقة الكردية عامل مساومة وورقة ضغط على تركيا فدخلت في اتفاقيات لضمان عدم السماح للأكراد بالقيام بأعمال شغب على الحدود التركية على الرغم من المرونة التي كانت تبديها للشخصيات الكردية. وقد تعرضت قيادات جمعية خويبون إلى الاعتقال والنفي والإقامة الجبرية وأغلق مكتبهم في حلب وحُدد نشاطهم. وهنا نجد بأن استغلال فرنسا للورقة الكردية واللعب عليها والتخلي عنهم بحسب حاجتها ومصالحها خذل المثقف الكردي وحد من دوره ونشاطه في نشر ثقافته الكردية وبلغته الكردية التي تراجعت لمصلحة الكتابة باللغة العربية.[10]

ومع بداية الاستقلال، بدأت النزعة القومية العربية بالظهور في الحكومات المتعاقبة، إذ حُلت الجمعيات والأندية معظمها وحظرت المطبوعات الكردية التي كانت في مرحلة الانتداب. وهدد (حسني الزعيم) بتسليم قادة خويبون إلى تركيا، وحظر (الشيشكلي) المطبوعات الكردية رسميًا، وازدادت المضايقات على القوميين الكرد والتوجه نحو تعريب كامل المنطقة، بعد أن اتجه الشيشكلي إلى الحكم المركزي ودعوته إلى فكرة الدولة العربية ووحدتها وإصدار تعليمات بمراقبة القوميين الكرد ورصد تحركاتهم السياسية، ثم إن الدستور الذي جرى وضعه تجاهل حقوق الكرد والإثنيات والأقليات الموجودة مؤكدًا أن الشعب السوري جزء من الأمة العربية[11].

نجد هنا بأن التركيز على دولة سورية عربية مركزية خيب أمل المكون الكردي الذي كان يطمح -حين شارك في تحرير بلاده من الاحتلال- إلى دولة مواطنة تعددية تعترف به وبلغته، ما دفع كثيرين الى العزوف عن تعلمها واللجوء إلى تعلم اللغة العربية ودراستها كونها لغة الدولة الرسمية والمعمول بها في الميادين كافة، ما أدى إلى تراجع اللغة الكردية والتعلم بها وإهمالها.

في عهد الوحدة مع مصر ازداد الخطاب والنزعة العربية القومية، وكان ذلك واضحًا في شعارات الأحزاب والتيارات معظمها وبرامجها وبخاصة حزب البعث. ونتيجة لهذا ولد أول كيان سياسي حزبي عام 1957 هو (الحزب الديمقراطي "البارتي") وكان من أهم أهدافه الدفاع عن الكيان الكردي في سورية وتأمين حقوقه الثقافية والإدارية، في إطار نظام ديمقراطي للبلاد عامة، فلم ينجُ مؤسسوه وأعضاؤه من الملاحقة والاعتقال والسجن، وفي مقدمتهم رئيس الحزب (نور الدين ظاظا) و(عثمان صبري) سكرتير الحزب وجرى تقديمهم إلى القضاء العسكري بحلب.

---

[9] نور الدين ظاظا، حياتي الكردية أو "صرخة الشعب الكردي"، روني محمد دملي (مترجم)، (أربيل، د.ن، 2001)، ص 67.

[10] إسماعيل حصاف، تاريخ كردستان سوريا المعاصر، ج1، (أربيل: مطبعة صلاح الدين، 2017)، ص 298.

[11] إسماعيل محمد حصاف، تاريخ كردستان سوريا المعاصر ج٢، (أربيل: مطبعة صلاح الدين، 2017)، ص 41.

وبعد الانفصال استمرت حملات الاعتقال والتنكيل، اعتقل أكثر من 30 من أعضاء الحزب عام 1962، وتلا ذلك الإحصاء الاستثنائي الذي حرم كثيرًا من العائلات من الجنسية السورية، ومشروع الحزام العربي الهادف إلى إفراغ المنطقة من سكانها وتغيير ديموغرافيتها وفق مشروع (محمد طلب هلال) عام 1963.

واستمرت هذه السياسات مع استلام حزب البعث السلطة وفرض السلطة الأمنية والسعي الدائم لإنهاء القضية الكردية في سورية وعدّهم دخلاء ومهاجرين وحظر اللغة الكردية في المدارس وأماكن العمل والدوائر الرسمية وحظر المطبوعات الكردية[12]. وسعى لصبغ البلاد بصبغة الحزب الواحد، والقائد الواحد واللغة الواحدة من خلال سياسة التعريب التي فرضت على المكونات السورية جميعها من الأكراد والأرمن والأشوريين والسريان والتركمان وغيرهم[13].

إن هذه الممارسات الممتدة على مدى عهود حكم مختلفة، وما اتبعته من سياسات التعريب وملاحقة كل من يكتب باللغة الكردية ويقرأ وينشر بها من أهم الأسباب التي دفعت إلى التعلم باللغة العربية وفقدان الكردي حقه في تعلم لغته ومبادئها وقواعدها والتمكن منها حتى اقتصرت معرفة كثيرين بها على اللغة المحكية من دون الإلمام بكتابتها والولوج في قواعدها وعلومها، إذ منع الأكراد من تعلمها وحتى التحدث بها في الدوائر العامة والحكومية والمدارس تحت طائلة الملاحقة والعقوبة وتوجيه التهم الجاهزة، فباتت اللغة العربية هي لغة الثقافة والوظيفة.

3- جمالية اللغة العربية وغناها

يعد هذا السبب من الأسباب المهمة لكثير من الكتاب الكرد، فحرمان الكردي من لغته والتضييق عليه لم يدفعه إلى استعداء اللغة العربية، فلجأ إليها الكاتب الكردي بسبب غناها بوصفها وعاء ثقافيًا لمعاناته، ويعبر بها عن ثقافته وفولوكلوره ومعتقداته، فباتت هذه الكتابات نافذة يطل من خلالها على العالم وينفتح عليها معبرًا عن قضيته ويطالب بحقوقه المشروعة. وهذا ما أكده كلٌّ من الكُتاب (إبراهيم اليوسف، جان دوست، هيثم حسين) في ندوة الأدب الكردي المكتوب باللغة العربية ضمن فاعليات البرنامج الثقافي المرافق لمعرض تونس الدولي للكتاب لعام 2018.[14]

4- أسباب اجتماعية وذاتية

توصف بنية المجتمع الكردي بأنها زراعية ريفية، وفق نظام قبلي عشائري إقطاعي. فكان النشاط الاقتصادي موجهًا إلى العمل في الأرض والرعي. فقد عانى المجتمع الكردي -كما المجتمع السوري بعامة- سياسات السلطات المتعاقبة على المنطقة، فكانت آفة الجهل مستشرية داخل البنية الاجتماعية، والإقبال

---

[12] عمر رسول، الكرد والاعتقالات السياسية في سوريا، المركز الكردي السويدي للدراسات، https://www.nlk-s.net/عمر-رسول-الكرد-والاعتقال-السياسي-في-سو/

[13] عبد الكريم زيباري، سؤال الهوية الكردية، ص 143.

[14] "الأدب الكردي المكتوب بالعربية" ندوة بمعرض تونس الدولي للكتاب، 2018. http://www.alapn.co/ar/?p=32950

على التعليم بعامة واللغة الكردية بخاصة كان ضعيفًا وبعيدًا عن اهتمامات سواد الشعب الذي يسعى للعمل في الأرض للاستمرار في البقاء. وبقي التعليم محصورًا في حلقات المساجد والتكيات الدينية التي كانت باللغة العربية (لغة القرآن). لذا بقي تعلم اللغة الكردية وآدابها وقواعدها مهمشًا، على الرغم من محاولات رابطة خويبون وأعضائها النهوض بالثقافة الكردية والاهتمام بنشرها وتعليمها. لكن الملاحقة والتضييق والاعتقال حدّ من نشاطها وتأثيرها. إضافة إلى أن الحركات والأحزاب الكردية معظمها التي نشأت وظهرت في ما بعد كانت منشوراتها وأدبياتها الحزبية والسياسية مكتوبة باللغة العربية أما الكردية فكانت محدودة جدًا، وذلك لأن سواد الناس الموجه إليهم الخطاب على جهل بقواعد لغتهم الكردية وآدابها. وحتى داخل الحركة الكردية نفسها كان هناك خلاف على تبني اللغة الكردية بحرفها العربي أو الحرف اللاتيني[15].

لذا كان تأثير البنية الاجتماعية الكردية كبيرًا، إذ يعتمد الأكراد في كل من إيران والعراق الكتابة بالأحرف العربية أما الأكراد في كل من تركيا وسورية فيكتبون ويقرؤون اللغة الكردية بالأحرف اللاتينية التي وضع أسسها (جلادت بدرخان).

رابعًا: النتاجات الأدبية الكردية باللغة العربية

تنوعت كتابات الكتاب السوريين الكرد بين الفنون الأدبية (الشعر، القصة، الرواية، المسرح)، وكانت لكتابة الشعر الرصيد الأكبر.

1- الشعر

ظهرت كثير من الأقلام التي عبرت عن ذاتها بقصائدها، وقد هجر الشعراء الكرد معظمهم القصيدة الكلاسيكية التي عرفت بالرصانة اللغوية ووحدة القافية والوزن واحتوائه على المحسنات البديعية، إلى الشعر الحديث. وكثرت القصائد الشعرية النثرية، فتضمنت القصائد كثيرًا من الرموز والإشارات وأسماء أشخاص كرد فكان للجبل والنهر والشجر دلالته ومعناه، يحمل الكاتب القصيدة همومه وآلامه هواجسه.

يعتمد (سليم بركات) الشاعر والروائي الكردي في قصيدته الشعرية على فكرة التعددية الدلالية القائمة على الطاقات المجازية والرمزية العالية في تشويش المعنى لدى القارئ، إذ لا تقبل تلك العلامات الانصياع لامتلاك تأويلي أحادي البعد، فيظل القارئ في إثر هذا غارقًا في رحلة اختلافاته غير قابل للحسم والاستقرار المستجيب لأفق توقعه، ما يتطلب أن يعد عدته اللغوية ليواجه عالمًا شعريًا من ممكنات التعددية.

يكتب في إحدى قصائده:

---

[15] بشير خليفي، التعدد اللغوي سؤال الهوية في ظل القيم والمرجعيات، (د.ن، د.ت)، ص143.

يالسنجار الراكض إلى طوروس
يا لجزيرة بوطان. معاقل شفيفة. وأسوار
كالأيدي تتلقف اللؤلؤ... وهياكل تكمم الرياح.
أما الصاعدون مثلى إلى الظلام.
على سلالمه البازلتية..
فهم امتحان اليقظة الحالمة بعراك التجاريين..
وأنا أعليّ أن أحبكم إلى أحد..
دول مذعورة
وقدر يتدحرج وراء ذاكرته الطينية[16]

وإذا كان سليم بركات أحد شعراء الرؤى، أو الرؤية، الذين لا يقدمون معاني جاهزة، إلا أن استعانته ببعض أسماء المكان، والرموز الكردية: سنجار/ شنكال وهو أحد عناوين الإيزديديين"اليزيديين" وطوروس -أي جبل طوروس- جزيرة بوطان والمعربة إلى -جزيرة ابن عمرو- فهو هنا يثير قضية حدود وطنه التي غدت هيولى، تتأكلها خرائط مستحدثة، وبمباركة من غرب لم يجد في الكردي ملبيًا ضالاته.

يعد هذا النص المجتزأ من إحدى قصائد بركات، إعلانًا عن انحيازه لأهله، بعد أن آلمه واقعهم، ومرآهم، في مرايا قصيدته. نحن هنا أمام تكثيف جد شديد، لوطن وبشر، بل نص أيضًا.

ويكتب الشاعر (زنار عزم) في ضحايا وسبايا سنجار، قائلًا:

شنكال جرح ووطن، لالش معبد المجد والخلود، فوق أجفان المعجزات. أرنو إليك ساجدًا متعبدًا متوسلًا، عبر تراتيل الصلوات، في ليلة الغدر سحق المغول بيتي واغتال الظلام فراشاتي، يزدان يا سيدي ماذا جنيت من ذنب ومن أوجاع التائهات، هي شنكال جرح وطن.[17]

النص هنا غارق في سرديته، بما يجعله -تقنيًا- محض خطاب سياسي. النص يتحدث عن تعرض سنجار/ شنكال، للغزو الداعشي الذي غدر ببنيه وكريماته، فتوزعتهم المجازر، وأسواق النخاسة.

وإذا كان النص لا يحتاج إلى تأويلات، وشروحات، فلأنه ينطلق من مأساة جد واضحة، لم تدعه إلى ما يلزم من تمهل، كي يكتب ما هو أبعد من الدلالات التي يرومها، بعيدًا عن دواعي ومستلزمات أي شكل فني.

وهذه المأساة تضاف إلى مآسي الشعب الكردي الإيزيدي فهو يعبر بلغة عربية عن هموم شعبه ومآسيه.

وفي قصيدته (قامشلي) يكتب الشاعر الكردي (أديب حسن):

وأنت سيدة عصية على الكره، أميون نحن وأنت الجرح الغامض، لا يقرأ إلا من الشمال إلى الشمال

[16]سليم بركات، الأعمال الشعرية الكاملة، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2007)، ص 408.

[17]من صفحة الشاعر زنار عزم في (فيس بوك).

وما نحن بقارئين حين يستبد بنا وتتحمم بنا الجثث في العتمة.. وحده الدم يطأ ووحدهم سعاة الورد يقرؤون أحزان عطرها الفقيد ... قامشلي وصلناك فلا تخذلينا ولا تسلمينا[18]

ويجسد الشاعر (دهام حسن) حب مدينتة عامودا وعشقه لها في صورة معشوقته فيكتب:

عامودا أيا صباي والهوى.. ويا حبيبة أمسي وغدي ومدى الدهر.. جسدك خريطة كنز وثغرك قبلة ثغري... ونهداك رسالة غرام وقوامك ديوان شعري... بذكرك كم أتباهى عامودا... وبانتمائي إليك يشمخ رأسي[19]

إن القصيدة الكردية عربية الجسد كردية الروح، لذا كانت هذه القصائد ممنوعة من النشر والطباعة وتخضع للرقابة والملاحقة ويُرفض نشرها في الصحف والمجلات الحكومية السورية باستثناء بعض المجلات والصحف التي كانت تنشر بعض هذه النتاجات التي كانت تخضع للرقابة بدورها كمجلة مواسم ومجلة أجراس.

2- القصة

نهل الأدباء الكرد كغيرهم من منابع الفن القصصي المنحدر من أوروبا ليأخذ مكانه بين الفنون الأدبية. وكانت القصة الشفهية المحكية هي السائدة في المجتمع الكردي المعروف ببساطته الريفية كونه مجتمع زراعي، فكانت حاضرة في الأمسيات والمجالس، وما لبثت أن تحولت إلى مادة مكتوبة لها أصولها وفنونها وبنيتها، يغلب على موضوعاتها انعكاسات البيئة الاجتماعية الريفية الزراعية، حيث يتحكم الأغوات الإقطاعيين بطبقة الفلاحين والكادحين البسطاء وما ينتج من ذلك من مظالم واستغلال وظلم وقهر.

حاول الأدباء الكرد توثيق هذه القصص والحكايات بالكلمة المكتوبة. فبدأت القصة الكلاسيكية القائمة على السرد وتعاقب الحوادث ضمن قوالب فنية جل موضوعاتها رصد المجتمع والبيئة الاجتماعية المحيطة، وظهرت القصص التي تسرد معاناة المرأة المهمشة والمقهورة في مجتمع ذكوري كما في قصة (أغنية منتهية بالرصاص) للكاتب والقاص (محمد باقي محمد)، وفيها تدور الحوادث حول قتل حبيبة البطل على يد أهلها تحت مسمى جرائم الشرف التي أزهقت روحها، في مجتمع ذكوري يقتص من فتاة قاصر من دون رحمة[20].

وفي قصته (من قطع رأس القط) يتناول القاص "حسن جنان ظاظا" موضوع فرض العقلية الذكورية السلطوية من خلال قصة الطفل أحمد الذي كبر على وقع قصص جدته التي كانت ترويها له كل يوم وتغرس فيه أفكار هذا المجتمع ومن القصص التي لم تغادر تفكيره قصة قطع رأس القط ليلة الزفاف حتى تخشاه الزوجة وتنصاع لسلطته وبقي كذلك على الرغم من التحاقه بالجامعة ونيله شهادة الدكتوراه في العلوم،

---

[18] من صفحة الشاعر أديب حسن في (فيسبوك).

[19] من صفحة الشاعر دهام حسن في (فيسبوك).

[20] قصة أغنية منتهية بالرصاص من مجموعته القصصية (أغنية منتهية بالرصاص)

وبقي يصارع أفكاره القديمة وعقليته المتحررة المتعلمة إلى أن التقى بزميلة له (جنان) وقرر الزواج بها وبقي وفيًا لأفكار جدته حيث أخذ معه قطة لقطع رأسها لكن الزوجة بحكمتها وذكائها استطاعت أن تحرر عقله من هذه الأفكار بمراجعة طبيب نفسي للتخلص من هذه العقد.

وفي قصة (من الأفضل أن يكون معك برنو) للكاتب "عبد الباقي حاج سليمان" يسلط الكاتب الضوء على الواقع الاجتماعي في الريف الكردي بطبقيته وتبعيته للإقطاعي المعروف (بالآغا) والصراع بين القرى المجاورة على تملك الأرض وأحقيته بها وتجيش باقي أبناء القرية أو العشيرة لهذا الغرض. فالكاتب في القصة يجسد المجتمع الكردي الريفي بشخوصه وجغرافيته واسماءه وعاداته من خلال مسرح الحوادث قرى منطقة (سنجقة خلف آغا) وأبطال القصة (سمكو آغا وأحمد آغا).

يركز "إبراهيم اليوسف" في قصته (شجرة الكينا بخير)[21] على استهداف المكان الكردي من النظام العنصري الذي نفذ خطة محمد طلب هلال في دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية. إذ يرى اليوسف أن إنسانه يستوعب الآخر، ويقبل المشاركة معه، إلا أن نظام دمشق الذي دبرت رؤوسه الكبيرة أمر توزيع أراضي الكرد على المستقدمين من محافظات أخرى، هو استهداف لمحو وجوده وهويته. ويفضح في هذه القصة هؤلاء الذين ارتبطوا بالنظام، ولطالما دبجوا تقاريرهم ضد أصحاب الموقف. فها هو بطل القصة يصف طريقة تعذيبه، لأنه رفض أن تسلب قطعة أرضه التي استصلحها للغرباء، بعد أن سلب أرضه من قبل:

"نصف ساعة مضت على وصولي المكان، لم يسألونا قط، كانت العصي ترتفع وتنزل، تتوزع فوق مساحات جسدينا والرجال البدينون ملفوفون بألبستهم المدنية ينتظرون صرخة من أحدنا، من دون جدوى. كانوا يبللون العصا في صفيحة الماء الموضوعة في أرضية القبو، أقول القبو لأنني لم أر الشمس خلال كل تلك المدة، ويعودون للأجساد العارية-و نحن نعض على شفاهنا مصرين على رجولتنا حتى آخر المشهد".

هذ إضافة إلى القصص الأسطورية والملاحم وقصص البطولات والعشاق من التراث الكردي.

ومع بداية سبعينيات القرن المنصرم بدأ التغير يطرأ على القصة الكردية، ولم يقتصر التغيير على مضامين القصة بل انسحب على استخدام الأساليب الجديدة في هذا النمط الأدبي، فقد أثرت المدارس الفكرية والتيارات الأدبية في الأدب العربي بعامة والأدب الكردي بطبيعة الحال.

لجأ الكاتب الكردي إلى الأسطورة والرمز لعدم قدرته الإفصاح عن بعض الموضوعات التي يريد التطرق إليها في كتاباته خشية الملاحقة والمنع من النشر. فلجأ كثيرون إلى استخدام الأسطورة و الرمزية والإيحاء وتوظيفها بما يخدم الفكرة المطروحة، كما في قصة (ومن يحمي الدجاج) للكاتب "عبد الرحمن سيدو" حيث تجسد حوادث القصة من خلال حسين صاحب المزرعة الذي يتحكم بدجاجاته من خلال منحها القليل واستغلالها في كافة الأعمال واستعبادها وتسليط بعضها على بعض في استكانة من الجميع إلى أن تأتي

[21] إبراهيم اليوسف، شجرة الكينا بخير، (أربيل: دار سبيريز، 2004)، ص 57-58.

إحدى الدجاجات التي تحاول الخروج عن القطيع والتحليق في فضاء الحرية والمطالبة بحقوقها وبحياة أفضل، ما ينذر بثورة وشيكة ضده فيحاول وأدها قبل انتشارها[22].

وفي قصته (الذئب) يصور عبد الرحمن سيدو مشهد الذئب وهو يهجم على قطيع الأغنام فيتذكر وصية أمه أن يستميت في سبيل نيل هدفه وعدم الرحمة.

الهجوم الذي يتصدى له كلاب القطيع الذين يستميتون في الدفاع عن قطيع الأغنام بدلًا من الراعي الذي يتخاذل عن الدفاع وحماية أغنامه، ويكتفي بمراقبة الذئب والكلاب وهي تتصارع حتى الموت وكذا الحمار الذي يتجنب الدخول في الصراع. الأمر الذي انتهى بمصرع الكلاب وفتك الذئب بالأغنام انتقامًا من قتله للكلاب وتخاذل الراعي، تنتهي القصة بقتله الراعي أيضا. فسيدو هنا يحاول استخدام الرمزية والإيحاء لتصوير الواقع السياسي والاجتماعي حيث الراعي يتخاذل عن حماية رعيته ووجود بيادق تقاتل عنه وله ومن أجله ليبقى محافظًا على سلطته، الأمر الذي سينتهي يومًا بفناء الراعي نفسه حين يصور مشهد الذئب وهو يهجم على الراعي متذكرًا وصية أمه (بني لا ترحم الراعي الذي لا يبالي بموت كلابه اعلك خصيتيه ببأس وانتظر موته بسعادة).[23]

وفي قصته (حشرات تشبه الملائكة)[24] يلجأ القاص "صبري رسول" إلى الإيحاء والرمزية كيف جرى استقدام العرب وتوطينهم في المناطق الكردية وسلب النظام أراضيهم ووزعها على القادمين الجدد، خطوة مدروسة لتغير ديموغرافية المنطقة حتى باتوا جزءًا من المكان وشركاء فيه. يسرد على لسان بطل القصة الذي عاد إلى منزله فروعته رؤية جيوش من الصراصير تغزو البيت وتنتشر في أرجائه كافة، واستنجاده بالجيران الذين أغلقوا الأبواب دونه فعاد ليلتف على أسرته الذين وحدتهم هذه المشكلة لمواجهتها والتصدي لها بشتى الوسائل ولكن المحاولات كافة تبوء بالفشل وتلك الكائنات تنسحب الى العتمة في المنزل ما تلبث أن تتمدد وتصبح شريكة في الضوء حتى ألف أصحاب الدار وجودهم بل أصبحوا جزءًا من حياتهم التي فرضت عليهم.

أخذت موضوعات القصة بعد قيام الثورة السورية عام 2011 تتجه نحو رصد الواقع ورسم ملامحه وتصوير وتوثيق حوادثه، تتناوب على موضوعاتها الحرب وقصص القتل والإرهاب، حياة السجن والمعتقلات، قصص اللجوء والويلات التي خبرها السوريون بعامة. فكانت مرآة تعكس التغيرات المتسارعة في بنية المجتمع والإنسان كما في قصة (ذاكرة الزجاج الصامت) للكاتب "حيدر هوري"، التي تتناول معاناة الشعب السوري في ظل الحرب السورية، وتفاصيل الدمار والخراب، ورصد اليأس في الأنفس للوصول بالآمال والطموحات نحو عتمة التحقق، وترصد أهوال رحلات النزوح واللجوء.

---

[22] موقع القصة العربية. www.arabicstory.net

[23] عبد الرحمن سيدو، "الذئب"، **مجلة الآداب**، العدد السادس، 1993.

[24] صبري رسول، غبار البراري، (دمشق: دار بعل،2011)، ص 46-47.

3- الرو اية

كانت الرواية الكردية هي الأخرى عرضة للرقابة والإقصاء، لكنها في الوقت نفسه كانت فضاء رحبًا وساحة واسعة يستطيع الأديب من خلالها طرح قضيته وتوجيه الأنظار إلى وقائعها ومعاناتها. فمنها ما كان مرآة يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي الفاسد السائد في جغرافيته كما في رواية (فقهاء الظلام) للكاتب سليم بركات.

تقع الحوادث في شمال سورية الشرقي على مقربة من الحدود التركية (القامشلي) موطن سليم بركات.

"بيكاس" الذي بلغ الشيخوخة في يوم مولده مساء وكان في ريعان الشباب بعد مضي ما يقارب سبع ساعات هو ابن لأب شيخ/ مُلا وقور يحفظ القرآن كاملًا عن ظهر قلب وبعضًا من الأحاديث النبوية إلا إن المحنة التي دارت رحاها في أسوار البيت الذي تتوسطه شجرة زيتون لا يزيد طولها على متر وتقاسمهم العيش والشعور والأحاسيس وما تمر ساعات شبابه حتى يطلب عروسًا له ولا يجدون إلا ابنة عمه البلهاء "سنيم".

تحدثنا الرواية عن نوعين من المعلمين منهم المتعلم المثقف الذي أرسلته وزارة التربية لتعليم أبنائهم حتى يلقى مصير القتل بعد أربع سنوات قضاها في "القامشلي" اثنتان منها في تعليم الأطفال واثنتان عمل محاسبًا ليحدث ما كان خارج الحسبان حيث تنبت أصابع في حقل داخل المنزل ويكلف "عفدي" الجد من أجل القضاء عليها إلا إن الأصابع ما تزال تنمو، والمعلم الآخر الذي يعلمهم قراءة القرآن وبعض الحساب في طريقة بدائية التعليم وقضى نحبه على يد أخ "سنيم". ولا ينسى بركات التهريب بين مدينة "القامشلي" وما جاورها من المدن والحدود التركية سواء المؤونة الأساسية أم تهريب المخدرات بأنواعها وهناك من يقضي نحبه بسبب الألغام المزروعة في الجانب التركي إلا إن هذا الأمر لم يمنع من تطور أساليب التهريب وتفادي حدوث الانفجار أو كوارث يمكن أن تلقي بهم أيدي الحراس.

وفي روايته (قمو) للروائي "وليد حاج عبد القادر"، استطاع أن ينقل حوادثَ جزيرة بوطان حيث كانت تلك اليتيمة التي وُلدت وتيتّمت مبكرًا هي وأخوها الصغير وأصبحت مسؤولة عنه أيضًا وسط بيئةٍ تتداخل فيها القساوة الفظيعة ومجتمع يرحم حينًا ويقمع أحيانًا، وقد تعمّق الكاتب متقصّدًا ليبرز عاداتٍ وتقاليد كرديةٍ بنوعٍ من التفصيل ولينقلنا وعبرها إلى عمق المأساة ويتقصّد أن يصوّر لنا الحدث بتفاصيله وهيجانه كتقطيع أنوثة قمو واغتصابها تحت خيمة سوداء ذات أربعة أوتادٍ، أبدع كاتبنا في التعابير والحدث وكأنه يقول ها قد مزّقوا الوطن (قمو) بعد أن أوثقوها بحبالٍ شُدّت بأربعة أوتاد.

نعم، هي سايكس بيكو وكأنّ الحنق وردة الفعل ما وازت حجم الكارثة الممزوجة بالألم فيعالجها الكاتب من جديدٍ في قصّة تلك الألقمشية التي رمت نفسها وهي تحتضن طفلها في أتون النيران كرسالةٍ واضحةٍ وقويةٍ أرسلها وليد حاج عبد القادر لكلّ الدول الغاصبة لكردستان ويصرخ فيهم قائلًا: هنا اغتصبتم وطننا وأحرقتم وقطعتم أوصالنا وما زلنا نزهر نرجسًا ربيعيًا كما نيركز ديريك نلملمها باقاتٍ تضمّها قمو بيديها وتصرخ عاليًا في سماء ديريك: /هاتن هاتن.. ڤا رومي هاتن / وكأنها توصي بني قومها أن لا تأمنوا عدوكم فهو

سيغدر بكم في أيِّ وقتٍ. فالرواية هنا كردية الجغرافية والزمان والشخصيات والحوادث ولكن ضمن وعاء لغوي عربي.

وكثيرة هي الروايات التي كتبت مع بدء التغيرات والتقلبات السياسية وصراعاتها في المنطقة، وبدء ثورات الربيع العربي في المنطقة، والحرب السورية المستمرة، فجاءت هذه الروايات لتوثيق هذه الحقيبة التاريخية بأسلوب يختلف عن التوثيق التاريخي الذي يوثق الحوادث والخطوط العامة، بينما تقوم الرواية برصد الحياة والأشخاص والمدن، أهوال الحرب وساحاتها، قصص اللجوء والموت، الانكسارات النفسية والتطورات التي تطرأ على شخوصها.

نذكر هنا رواية (كوباني الفاجعة والربع) الروائي الكردي "جان دوست" حيث يتناول مدينة كوباني التي تعرضت لهجمة وحشية من تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وأحالت المدينة ركامًا فوق أهلها الذين تشتتوا بين المقابر والملاجئ، فكانت المدينة هي الشخصية الرئيسة في الرواية التي تدور فيها وحولها الحوادث فتتجول روح الكاتب وذاكرته في شوارعها رابطًا الماضي بالحاضر وما آلت اليه أحوال شخصياتها وما شاهدوه ومر بهم من ويلات.

وكذا الشاعر والروائي "إبراهيم اليوسف" في روايته (شنكال نامة) حيث تدور حوادث الرواية في منطقة شنكال ذات الأغلبية الكردية الإيزيدية التي تعرضت لهجوم من عناصر تنظيم الدولة الإسلامية فقتل وسرق ونهب واغتصب النساء وسبى منهن آلافًا، فيرصد الكاتب هذه المأساة وما آلت إليه الأحوال.

بينما يتخذ الروائي الكردي السوري "هيثم حسين" في روايته (رهائن الخطيئة) من بقعة جغرافية كردية مهملة يفصل بين أجزائها أسلاك شائكة مكهربة وألغام بين سورية وتركيا، فيتناول موضوع الحدود بأبعاده المختلفة من خلال شخصيات متعددة، منها من يرتهن لتلك الحدود ومنها من يتجاوز تلك العقبات الموضوعة من خلال شخصية العجوز الرئيسة التي تنتقل بولديها من قرية إلى أخرى لتحميهم من بطش الجهل والتخلف وقيم الثأر. وتروي لحفيدها الوحيد قبل وفاتها سبب ترحالها الذي فرض عليها بسبب قدر الجغرافية الذي جعل أفراد العائلة الواحدة موزعين على طرفي الحدود لتفرقهم أسلاك شائكة وألغام أودت بحياة كثيرين ممن حاولوا العبور. فالرواية تعكس واقعًا سياسيًا واجتماعيًا فرض على الأكراد في هذه المنطقة ومعاناتهم منها.

خامسًا: النتاج النسائي السوري الكردي

توجهت المرأة الكردية إلى الكتابة، تكتب عن الحب والحرية، عن الفرح والحزن، الألم والأمل، معبرة عن خصوصيتها و همومها وآمالها.

تكتب الشاعرة "نارين عمر" في قصيدتها (على من تبكي عيناي) عن حجم الفقد والمعاناة:

على مَنْ تبكي عينايّ
أعينيّ...
كم تشتهيان الدّموع الدّافئة
على هذا اليوم
كم تحتار مقلتاكما على مَنْ
تبكيان...؟!
على طالبٍ...
يبكيه المقعدُ اليتيم
على معلمه الذي تمنعه
الغشاوة من متابعةِ الدّرس
كلما وقع بصره
على المقعد المفجوع
والطلاب الشّاردة أرواحهم
إلى حيثُ روح زميلهم؟!
أم تبكيان...
على حيّ تبكي فيه الصّبايا
في سرّهنّ على مَنْ كان
يزرعُ ورود مسرّةٍ
في بستان أنوثتهنّ الخصيب
أم على ملعبٍ
فقد لذة اللعبِ بعدما نام فيه
ضجيجُ الّنزق والمشاكسة
ها هو البكاءُ
يتحوّلُ إلى نحيب
على شارع ترابيّ يصرخُ:
أعيدوا إليّ شغبَ صغار

يرسمون بسمة على شفاه
الأمّ وهي تُسبّ وتُشتم أمام الملأ
على تنّور يئنّ
من هجر النّسوة من حوله
يئنّ شوقًا إلى تباين أحاديثهن
على إعلان أسرارهن
بكاءٌ... نحيبٌ... عويلٌ
على قريةٍ أبت أن تغفو
على بساطها الأخضر
في يوم ربيعي[25].

وتكتب "آسيا خليل" ديوانها (من خلف القضبان) وفيها تدون تلك التفاصيل الإنسانية المؤلمة من خلال تجربتها الشخصية التي عاشتها خلال سنوات اعتقالها سجينة للرأي.

لقد لخّصت لنا كثيرًا من تجربتها المؤلمة، ففي القصيدة الأولى "وحدك في المهب" تكتب الشاعرة:

مفعمة بالأسى أعيد اجتياح الأساطير
لي ابتهالات جفت على باب إنانا
وهوى في أور
وخاتم في يد السومري
لي في الأعالي زهرة
يصعد لها البابلي أدراج الهيام
لي صولجان الماد والكمنجات التي
تتلوني كلما افتتح الجلنار خابية الحنين
لي رعشة التيه في شفتيك
كلما شهق كحل في اللواحظ
إلي.[26]

وتصور "وجيهة عبد الرحمن" في روايتها (الزفير الحار) مجتمع الجزيرة السورية، حيث تدور حوادث الرواية في مجتمع ذكوري ومعاناة النسوة فيه والمصاعب التي تواجه بطلات الرواية، وتبين التهميش المتعمد لتلك المنطقة، فيكون القهر والظلم سببًا في آهات الزفير الحار ونيرانه.

[25] http://welateme.net/cand/modules.php?name=News&file=print&sid=637

[26] من قصيدة في مهب الريح في ديوانها أهب أصابعي لخواتم النور http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=534151&r=0

وتتناول الروائية "مها حسن" في روايتها (طبول الحب) المجتمع السوري في ظل الحرب السورية وتداعيات هذه الحرب على حياتهم وانعكاساتها ومعاناتهم، فتصور المجتمع بعدسة دقيقة تصور أزمة المثقفين المتأدلجين بين تيارات سياسية وحزبية ومواقفهم من هذه الحرب.

وفي قصة (القضية رقم 209) للكاتبة "وزنة حامد" تتطرق الكاتبة إلى قضية الفساد الاجتماعي وغياب القانون، حيث يقوم بطل القصة بالمرافعة عن نفسه أمام القضاء الإنساني العام فيقارن جريمته التي يعاقب عليها وهي سرقته لشراء دواء لأمه المريضة بسارقي المال العام وآمال وأحلام الأطفال والبسطاء فهم طلقاء منزهون من كل إثم.

بينما ترسم الكاتبة "ماريا عباس" صورة المرأة الكردية المقاتلة في سبيل الدفاع عن أرضها وعرضها ونصرة قضيتها في قصتها (تلك الضفيرة)، تقوم بطلة القصة المقاتلة "نارين" بقص ضفيرتها حتى لا تدنسها أيدي الإرهاب الذي غطت سحبه أرضها وعاثت فيه قتلًا وتدميرًا كما فعلوا برفيقة نضالها بعد اغتصابها وقتلها.

سادسًا: التأثير المتبادل بين الكاتب الكردي والثقافة العربية

مما لا شك فيه أن الكاتب الكردي بسبب ضعف إمكاناته بلغته الكردية الأم، نتيجة حرمانه من تعلمها، وملاحقته بسببها والتضييق عليه، قد وجد ضالته في اللغة العربية للتعبير بها عن روحه وهواجسه. فكانت الفضاء المتاح له، مستفيدًا من جمالية هذه اللغة وبديعياتها بما يلائم توتر روحه. فكانت خير نافذة يشرق فيها على العالم المحيط به، وكانت الدرب التي يعّرف بها عن قضيته سواء في محيطه السوري أم العربي وهذا ما أكده الشاعر أمجد ناصر: "إن ما قدمه سليم بركات من كتابات هو في الوقت نفسه طرح لقضيته الكردية[27]

وترى الشاعرة التونسية "إيناس العباس": (لقد عرفت الكرد وآلامهم من خلال الروائي سليم بركات) [28]

وفي الجانب الآخر نجد أن المكتبة السورية خصوصًا والعربية عمومًا قد ازدانت بكثير من المؤلفات سواء في مجال الشعر أم القصة أم الرواية التي كانت مصدرًا لعدد من الدراسات والأبحاث، إضافة إلى قيمتها الأدبية فقد تناولت رسالة الماجستير للباحث "طه خلو" التي قدمها لمعهد البحوث والدراسات في الجامعة العربية كتب الكاتب سليم بركات ومؤلفاته بعنوان (القيم التربوية في الأدب الكردي المعاصر - سليم بركات نموذجًا)

ركزت نتائج البحث على دور الأدب والفن حول تطور المجال الإبداعي والتربوي واعتمد فيها الباحث (طه خلو) على القيم التربوية في روايات سليم بركات "ويوضح من خلال نتائج البحث مساهمات سليم بركات

[27] الأدب الكردي بعيون عربية. http://buyerpress.com/?p=8826

[28] المرجع السابق.

حول المجتمع من خلال السرد التاريخي والسياسي والجانب التعليمي والظلم الذي وقع على الأقليات في حقبات استعمارية متعددة وعايشها في سورية، حيث التنوع العرقي والديني وخصوصًا في المناطق الكردية شمال شرق سورية وتفاعل معها من خلال هذه الروايات وخصوصًا رواياته الأولى وسيرته الذاتية وانعكست هذه الروايات على إبراز الجانب الإبداعي الذي تطور من رواية لإلى خرى، حتى تمكن منها مضيفًا إلى المكتبة العربية والكردية كنزًا ثمينًا ،ولعل انخراطه في المجال السياسي كان إجباريًا منذ دخوله المدرسة ومعرفته أن لغته الأم (الكردية) ممنوعة في المدرسة وهذا ما أثر به ودفعه إلى الحديث عن هذا الظلم الذي لحق به وبأبناء جلدته وبث أفكاره وآرائه واستخدامها سلاحًا يحارب به الظلم من خلال أدبه وإبداعه مطالبًا بالحرية والعدالة والحرية ،فحين يكتب الأديب المبدع نصًا أدبيًا لا بد أن نجد فيه صور المجتمع وثقافته وتاريخه وانتمائه فهنا نجد سليم بركات يتناول في أدبه الحالة الكردية من فلوكلور وثقافة وطبيعة الجامع".)[29]

وتناولت الباحثة اللبنانية "سامية سلوم" في رسالتها للدكتوراة الصور الشعرية عند سليم بركات من خلال دراسة الصور الشعرية في ديوانه "طيش الياقوت"[30]

والكاتب الكردي وإن كان يطرح في ما يكتبه همه وهواجسه وقضيته الكردية فهو لم ينس أنه ينتمي إلى الوطن السوري بكل ما له وعليه فتناول المواجع السورية ومعاناة أبناء وطنه وعالج قضايا الظلم والفساد، تغنى بسمائها وأرضها، كتب عن قاسيون وبردى واحتضن آهات مدنها فكانت ذاكرته الكتابية حبلى بحب هذه الأرض وأهلها من جميع الأطياف والملل.

[29] طه محمد سعيد خلو، القيم التربوية في الأدب الكردي المعاصر.. سليم بركات نموذجًا، (رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الجامعة العربية بالقاهرة)، ص123. www.alquds.co.uk

[30]سامية سلوم، الصور الشعرية عند سليم بركات، (د.ن، د.ت).

المصادروالمراجع

1. الدواي. عبد الرزاق، نظريات في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات دور الهوية الوطنية زمن العولمة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).
2. اليوسف. إبراهيم، شجرة الكينا بخير، (أربيل: دار سبيريز، 2004).
3. بركات. سليم، الأعمال الشعرية الكاملة، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2007).
4. حصاف. إسماعيل، تاريخ كردستان سوريا المعاصر، (أربيل: مطبعة صلاح الدين، 2017).
5. رسول. صبري، غبار البراري، (دمشق: دار بعل،2011).
6. زيباري. عبد الكريم، سؤال الهوية الكردية، (بيروت: دار الفارابي، 2012).
7. ظاظا. نور الدين، حياتي الكردية أو "صرخة الشعب الكردي"، روني محمد دملي (مترجم)، (أربيل، د.ن، 2001).
8. كالفي. لويس جان، حرب اللغات والسياسة اللغوية، حسن محزة (مترجم)، (بيروت: مطبوعات المنظمة العربية للترجمة، 2004).
9. ليونز. جون، اللغة وعلم اللغة، مصطفى التوني (مترجم)، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1987).
10. وهولبورن. هارلمبس، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، حاتم محس (مترجم)، (دمشق: دار كيوان، 2010).